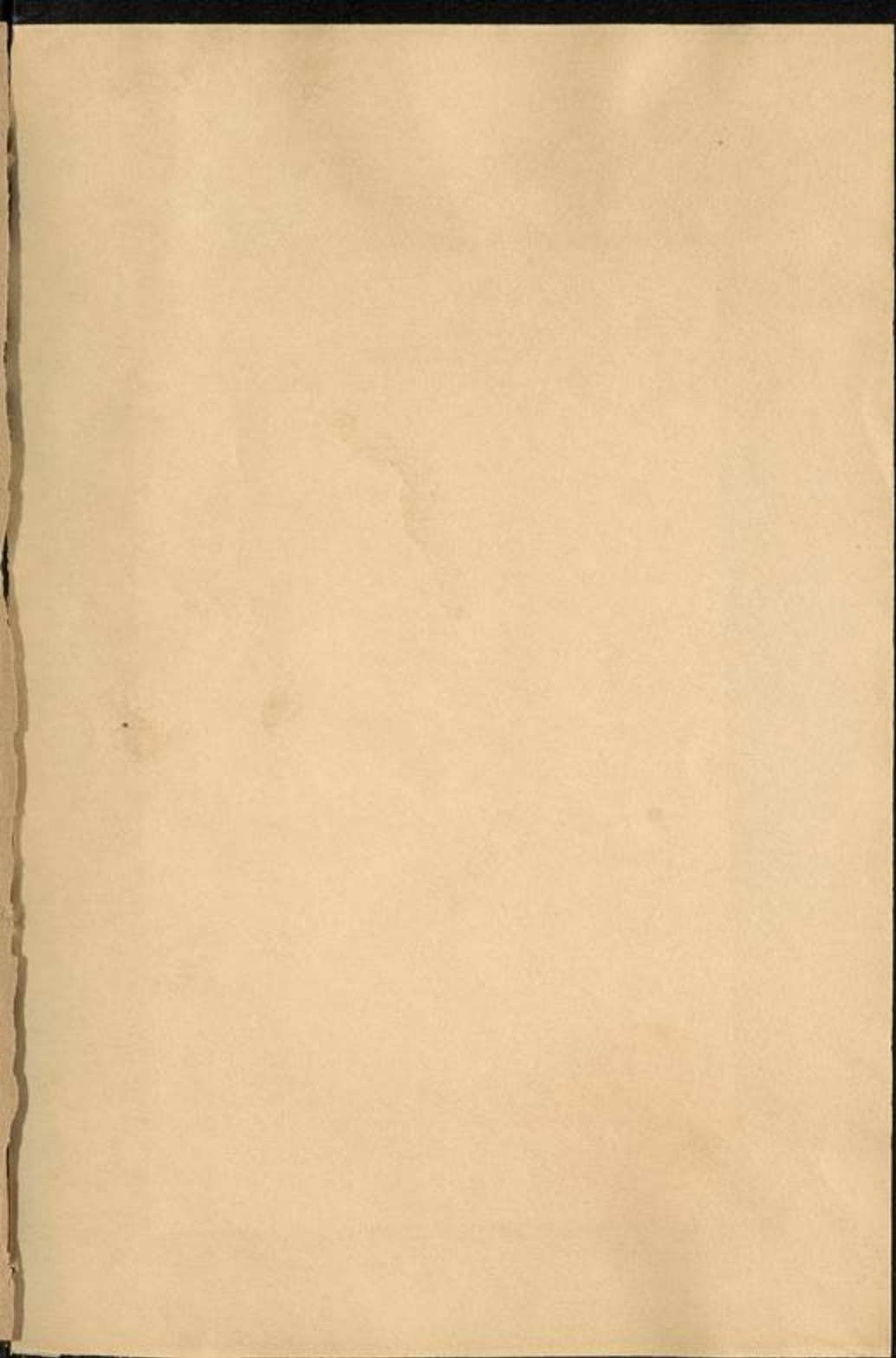


893.716

H95

DEC 11 1930



علماء الاسلام في الاندلس

عاهرة القاها السيد

محمد الخضر حسنين

في نادي جمعية الشبان المسلمين - بالقاهرة

باسم جمعية ﴿ الهداية الاسلامية ﴾

مسار الاربعاء ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٤٦

بليها خطبة في موضوع

لماذا نحتفل بذكرى الهجرة النبوية؟

ألقاها الاستاذ السيد محمد الخضر حسين

في نادي جمعية الشبان المسلمين مساء غرة المحرم سنة ١٣٤٧

القاهرة

١٣٤٧

الطبعة المتتالية - مكتبة

Cott.

30-62318

علماء الاسلام في الاندلس

﴿ محاضرة ﴾

ألقاها السيد

محمد الخضر حسنين

في نادي جمعية الشبان المسلمين - بالقاهرة

باسم جمعية ﴿ الهداية الاسلامية ﴾

مسار الاربعاء ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٤٦

القاهرة

١٣٤٧

المطبعة السلفية - وكنتها

Hussain, Muhammad al-Khidr

30-62318

893.716

H95

﴿ حقوق الطبع محفوظة ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين • وصلى الله على أفضل المرسلين ، وعلى آله وصحبه اجمعين

أيها السادة ،

أحدثكم عن أمة من أهل العلم عاشوا في السنين الخالية .
ولا أقصد بحديثي عنهم الدعوة الى أن نأخذ بكل مظهر من
مظاهرهم ، أو نتقدي على كل أثر من آثارهم ، فإن لكل جيل
شأنه ، ولكل دولة لبوسه ، وإنما هي نظرة نلقيها على سيرة اولئك
العلماء من الناحية التي يتمثل فيها أدب الاسلام وتتراى فيها
الهمة النبيلة ؛ وهي ناحية لا تختلف باختلاف المواطن ، ولا
تبدل ما تبدلت الاجيال

وإذا كانت بلاد الاندلس قد احيط بها ، وتقلصت ظلال
الاسلام من أقطارها ، وكان على علماءها الذين شهدوها يوم
كانت تنقل نصيباً من النعمة غير قليل ، فنحن إنما نحدثكم
عن العلماء الذين ظهروا أيام شباب الدولة الاسلامية وكانوا العضد
الاقوى في بسط سلطانتها واقامة معالمها ، أو نحدثكم عن أفراد من
العلماء نشأوا أيام هبوط تلك الدولة ، وقضوا من واجب العلم
والارشاد ما استطاعوا ، واكتنهم وجدوا في الآذان وقراء ، وعلى

الابصار غشاوة » واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا
فيها فحَقَّ عليها القولُ فدمَرناها تدميراً »

﴿ سبب نهضة العلوم الإسلامية بالاندلس ﴾

تزهو العلوم بين الامة وتضرب أشعتها في طول البلاد
وعرضها ، متى هيا الله لها من أمرها سببين اثنين : هما صحة طرق
التعليم ، ثم ما تكون عليه الدولة من كياسة وشعور بقيمة العلم
ورجاله المصلحين

أما صحة طرق التعليم فهي التي تنهض بطالِب العلم الاذكياء
الى أن يرسخوا في فهم اصول الشريعة وتعرف مقاصدها في وقت
غير بعيد ، فيتيسر لطالِب هذه العلوم أن يبلغ فيها أشده وهو
لا يزال في عنفوان شبابه ، فيتصدى للتدريس أو التأليف أو
الدعوة ، وعزمه في قوة ، وهمة في نشاط ، وفؤاده في ذكاء

وأما كياسة الدولة ويقظتها لما في علوم الاسلام من سنن الرقي
وسعادة الحياة فذلك ما يجعلها تعمل على نفاقها ، وذلك ما يدعو
الى التنافس في طلبها ، فلا يلبث الناس أن يروا اهل العلم مواقف
شريفة وآثاراً فاخرة ، وما هذه المواقف والآثار الا عصمة
للمعول من أن تضل ، ووقاية للدولة من أن تستخف بالشرائع
فتمتتها الامة وتشقى¹

قد يخرج من بين التعاليم المتنوية ، أو يظهر في عهد الدولة الجافية أفراد يسمو بهم صفاء الفطرة أن يكون علمهم غزيراً متناسقاً ، وتفكيرهم موزوناً مشمراً ، ولكنى انحدت عن الثقافة القائمة تسود بين طلاب العلم ، فهذه لا تظفر بها المعاهد والمدارس الاسلامية الا أن تستقيم طرق التعليم ، ويكون اولو الامر ممن يرجون لله وقارا

إذا اجتمع هذان الامران : سداد نظام التعليم ، وسلامة ضمير الدولة ، سددت هذه المعاهد والمدارس وأطلعت من أعلام الهداية وحماة الفضيلة خلقاً كثيراً

وقد كان منهج التعليم في بلاد الاندلس جيداً ، وكان رجال دولها في أغلب أحوالهم ينظوون على ضمائر سليمة وسرائر مطمئنة بالإيمان

نعني بجودة منهج التعليم انهم كانوا يسرون في دراسة العلم على طريقة البحث في نفس العلم والفروض على لبابه ، ولم تأكل المختصرات المغلفة والمناقشات اللفظية من مجهوداتهم وأوقانهم ما هم في حاجة الى انفاقه في حقائق العلم ، وان حقائق العلم لشيء كثير ولا يغيب عنا أنهم ابتلوا في أواخر حياتهم كما ابتلى غيرهم بشيء من هذه المختصرات ، واخذت المناقشات في الفاظ المؤلفين تشغل طرفاً من أوقانهم ، ولكنها لم تشتد كما اشتدت في معاهدنا

منذ زمن ، وأوشكت ان تصير دون المباحث الاصيلة في العلم
حجاباً مستوراً

وأما احتفاء امراء الاندلس بعلوم الاسلام فان تاريخهم ينطق
بانهم كانوا يعملون لحياتها ونمائها ، ويوجهون عنايتهم الى
الاستكثار من رجالها ، ولهذا العناية مظاهر شتى :

من هذه المظاهر رعايتهم لمقامات العلماء ، ونظرهم اليها بعطف
واحترام . قال أبو عبد الله المقرئ في وصف الاندلس : « وان
ملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها ويرفعون أقدارهم » وسنسوق الى
حضر اتمكم في بعض الفصول الآتية وقائع تشهد بان امراء الاندلس
كانوا يجلبون علماء الشريعة ويحتملون منهم الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ولو كان وعظهم غليظاً خشناً ، ذلك لانهم يحسون
منهم الاخلاص حين ينهون وحين يأمرن ، وشأن المخلص في
قول الحق أن ترمقه القلوب بمهابة وان كانت مطبوعة على قسوة
واستبداد

ومن هذه المظاهر حملهم أهل العلم على التأليف في علوم
الدين ، وتلقيهم المؤلفات القيمة بما شأنه أن يبعث الهم على
الايان بأمثالها . وأذكر في هذا الباب أن بعض علماء المالكية
بالعراق شرع في تأليف سماه الاستيعاب وقصد فيه الى جمع أقوال

الامام مالك خاصة لا يشر كما بقول أحد من أصحابه ، وكتب منه خمسة أجزاء ، ثم ادركه الموت وهو لم يتمه بعد ، ووقعت هذه الاجزاء الى الحكم بن عبد الرحمن الناصر فاعجب بها واقترح على أبي بكر القرشي وابي عمرو الاشبيلي ان يكلا هذا الكتاب وفتح لهما دار كتبه للبحث والتنقيب ، فاكلاه في مائة جزء ، ولما قدماه اليه ابتهج به سروراً ، وقلدهما منصب الشورى في مجلس القضاء . على أن أول الاستاذين المؤلفين وهو ابو بكر القرشي لم يزد عمره يوم ولّى هذا المنصب على ثلاثين سنة

ومن هذه المظاهر أن في الامراء أنفسهم من كانوا يقبلون على درس علوم الشريعة درساً وافياً ، كعبد الرحمن الاوسط والحكم ابن عبد الرحمن الناصر ومجاهد العامري احد ملوك الطوائف شرقي الاندلس . ومنهم من كانوا يعقدون مجالس يتحاور فيها أهل العلم بمحضرتهم ، وقد كان للمصور بن أبي عامر مجلس في كل اسبوع ، يجتمع فيه أهل العلم للمناظرة بمحضرتهم ، ولا يدعه الا حين يخرج مجاهداً في سبيل الله

ومما نهض بالعلوم في الاندلس اقبال أهل العلم على الرحلة الى الشرق ، ويقومون فيه الشهور والسنين ، ثم يعودون الى أوطانهم بما يتجدد من علم نافع أو رأي راجح أو استنباط بديع ، وقلما يمر الناظر على حياة عالم كبير من قدمائهم ولا يجد له رحلة

يرحل علماء الاندلس الى الشرق ، وريثاً بطلاً الرجل
 حقيقته من العلم ، أو يبلغ في الاطلاع على البلاد ما استطاع ، ينقلب
 الى وطنه ليبت ما استفاد من علم ، أو يحدث بما شاهد من
 أحوال وآثار

وكان هؤلاء الراحلون يؤثرون العود الى أوطانهم على الاقامة
 بالشرق الا قليلاً ذكر منهم ابن مالك وأبا حيان وأبا بكر الطرطوشي
 وأبا القاسم الشاطبي الامام في علم القراءات ، فان ابن مالك
 استوطن دمشق ، والثلاثة بعده استوطنوا القاهرة الى أن استلمتهم
 يد المنون

ومن وردوا الشرق فابتسم في وجوههم ثم أبوا الا أن يعودوا
 الى وطنهم القاسم بن محمد بن سيار ، فقد لقي هذا الاستاذ في
 مصر حظوة بالغة ومقاماً كريماً ، وعزم مع هذا على الاياب الى بلده
 بالاندلس ، ولما قال له العلامة محمد بن عبد الحكم : اقم عندنا
 فانك تعتقد رياسة ويحتاج الناس اليك ، أجابه بقوله « لا بد من
 الوطن » . قل القاسم بن سيار « لا بد من الوطن » لان مقاليد
 الامور في وطنه بيده دولة وطنية لا تنظر الى من يعود اليها من
 الشرق بعين الريسة ، فتمجّل الى نفيه من الارض أو تضرب
 عليه حصاراً من عيون الرقباء وآذان المتحسسين

﴿مكانة علماء الاندلس في العلوم الاسلامية﴾

كانت علوم الشريعة يوم فتحت الاندلس انما هي القرآن يتلى ، والحديث يروى ، وبصائر عرفت روح الاسلام واهتمت طرق الاستنباط ، فكان من الميسور لها أن تفصل لكل واقعة حكماً صالحاً

وكانت الجيوش الفاتحة للاندلس تحمل في اجنحتها رجالا تفقهوا بين ايدي اصحاب رسول الله ﷺ كحسين بن عبد الله الصنعاني والمغيرة بن أبي بردة العذري ومحمد بن اوس الانصاري وزيد ابن قاصد وعبد الرحمن العاقي . ومن المعروف في التاريخ ان عمر ابن عبد العزيز أرسل عشرة من علماء التابعين ليفقهوا أهل إفريقيا في الدين ، وأن من هؤلاء العلماء من دخلوا الاندلس لأول فتحها ، مثل بكر بن سواده وحياتان بن أبي جبلة

وورد الاندلس من غير هؤلاء رجال أوتوا العلم بالقرآن والسنة فانبثت في تلك البلاد مبادي الدين الحنيف ، ولسكن مدافعة الاعداء في الخارج ، ونورات الزعماء الطامحين الى الرياسة في الداخل ، جعلت البلاد في حركات حربية عنيفة ، وانما ينهض العلم ويسير في انتظام ، حيث يكون الناس في سلم وطمانينة

جاء صقر قریش عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك

ابن مروان واقام في الاندلس دولة أموية مستوثقة العرى ، فاذا طوائف من العلماء يفتدون من الشرق ضيقاً على الغرب ، ورجال يرحلون من الغرب ثم يعودون بعد أن يشربوا من منابع العلم بالكناس الراوية ، فتدفق سبيل العلم بالمداين والقرى ، واصبحت الاندلس تضاهي العراق بعلومها ، وتباهيه بعلومها . وهذه بقية من مؤلفاتهم تخلصت اليها من يد الاحراق والانغراق ، تشهد فيها العلم الزاخر والنظر الراجح والاسلوب الحكيم ولا يسمح لي وقت هذه المحاضرة أن أبحث عن حالهم في العلوم بتفصيل ، فأكتفي بكلمات موجزة ادل بها على مكانتهم في التفسير والحديث والنقح والكلام ، وأصلها بكلمة في موقع علوم الفلاسفة من عنايتهم ، وأدع الحديث عن تقدمهم في علوم اللغة وآدابها الى ساعة اخرى

﴿ تفسير القرآن ﴾

عنى علماء الاندلس بتفسير الكتاب العزيز ، وحظهم من الاجادة والتحقيق في هذا العلم كبير ، فلعبد الرحمن بقى بن مخلد تفسير يقول ابن حزم في وصفه : هو الكتاب الذي اقطع قطعاً لا استثنى فيه انه لم يؤلف في الاسلام مثله ، لا تفسير ابن جرير الطبرى ولا غيره

ومن أثر علماء الاندلس في التفسير أن بعض من دخلوا في الاسلام ككعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام كانوا يطرحون الناس قصصاً واخباراً هي من نوع ما يتحدث به أهل الكتاب قبل الاسلام ، ومن أجل أن هذه القصص والاخبار لا تتعلق بالشريعة في أصل ولا فرع ، لم يبال بعض المفسرين أن يوردوها في تفاسيرهم دون أن يأخذوها بالنقد والتحصيل ؛ ثم ظهر بعد هذا الحافظ عبد الحق بن عطية الغرناطي وألف تفسيراً أربي فيه على من تقدم ؛ ومن مزايده انه تجرأ فيه من تلك الاخبار ما هو أقرب الى الصحة ، ثم جاء بعده ابو عبد الله محمد بن فرح القرطبي وألف تفسيراً تحامى فيه القصص والتاريخ ، وصرف همهته الى الاحكام واستنباط الأدلة بل نجده في بعض المواضع يأتي على شيء من تلك الاخبار ويدفعها ببيان مخالفتها للمعقول أو المنقول وتصدى طائفة من علماءهم لتفسير آيات الاحكام خاصة ؛ مثل منذر بن سعيد البلوطي وأبي بكر بن العربي وعبد المنعم بن الفرس . ومنهم من يؤلف تفاسير متعددة ، فلابي بكر بن العربي كتاب الاحكام وقانون التأويل وأنوار الفجر ، وهذا التفسير يبلغ ثمانين مجلداً

فعلما الاندلس في مقدمة من خلصوا التفسير من أخبار واهية وروايات مصنوعة ، وفي مقدمة من بسطوا القول في

استخراج الاصول والاحكام من الآيات البيّنات ، ومن يقاب
نظره في مؤلفاتهم يشهد بأنهم في مقدمة من حاربوا الآراء
الفاسدة في تأويل القرآن

﴿ علم الحديث ﴾

نحن نعلم أن طائفة من علماء التابعين قد دخلوا الاندلس
لاول التفتح ، وان طائفة اخرى تعد من حملة الشريعة هبطت
الاندلس قبل أن تقوم الدولة الاموية ، ولكننا نجد الكاتبين في
التعريف بعلمائها يقولون في شأن صعصعة بن سلام : انه أول من
دخل بالحديث بلاد الاندلس ، وصعصعة هذا انما ورد الاندلس أيام
عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الاموية . وكأنهم يريدون بما
قالوا أن صعصعة بن سلام أول من دخل بالحديث بلاد الاندلس بعد
أن انتظم أمر الرواية وصارت الاحاديث تضبط بالكتابة والتدوين
وأصبحت الاندلس في خلال المائة الثالثة دار حديث برجلين
من رجالها رحلوا الى الشرق وعادا اليها بعلم غزير ، وهما بقي بن
مخلد ومحمد بن وضاح . قال أبو محمد بن حزم : واذا سمينا بقي
ابن مخلد لم نسبق به الا محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن
الحجاج ، وكان محمد بن وضاح يرد كثيراً مما يروى على انه حديث

نبويّ ويقول « ايس هذا من كلام النبي ^{صلى الله عليه وسلم} في شيء » ومثل هذا المقال إنما يصدر لذلك العهد من محدث واسع الاطلاع ومن محدثها ابن عبد البر صاحب كتاب التمهيد الذي قال فيه ابن حزم : لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله اصلاً ، فكيف احسن منه

ومن دلائل عنايتهم بالحديث أن حرالي قرطبة لذلك العهد قرى كثيرة ، وفي كل قرية منبر وقيمه مقاس ، وكان لا يضع القالس على رأسه الا من حفظ الموطأ ، وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث وازداد الى ذلك حفظ المدونة ، هذا حال مفتي القرية فماذا يكون حال العلماء في مجلس الشورى والقضاء بقرطبة ونحوها من المدن ذات الارياض الفسيحة والضواحي العامرة

وقيام علماء الاندلس على منبعي الشريعة : التفسير والحديث هو الذي بلغ بهم أن كانوا في طليعة من حاربوا البدع والمحدثات ، فقد كتب فيها أبو بكر الطرطوشي وأثنى أبو بكر بن العربي في مؤلفاته ، وقالتها أبو اسحاق الشاطبي في كتابي المواقفات والاعتصام قتالا عنيفاً

﴿ علم الفقه ﴾

ظهر في الشرق أعلام الاجتهاد والفتوى أمثال الائمة أبي حنيفة ومالك والاوزاعي والشافعي ، وأخذ الناس يتلقون أقوالهم

ومذاهبهم بالرواية والتدوين ، وكان ممن اختص بالامام الاوزاعي
صمصمة بن سلام ، فقدم الاندلس أيام عبد الرحمن الداخل ، وبه
انتشر مذهب الاوزاعي هنالك ، وأصبحت الفتوى تدور على
هذا المذهب الى أيام هشام بن عبد الرحمن

في أيام هشام بن عبد الرحمن رحل فريق من أهل الاندلس
الى الشرق وجلسوا الى مالك بالمدينة وأخذوا عنه ثم عادوا بكتاب
الموطأ ووصفوا من فضل مالك وسعة علمه ما عظم به صيته ،
فانتشر مذهبه وبقي العمل في القضاء والفتوى عليه الى أن أفلت
شمس الامام من تلك الآفاق

وذهب ابن حزم في سبب انتشار مذهب الامام مالك
بالاندلس الى وجه آخر فقال : ان يحيى بن يحيى الليثي احد رواة
الموطأ عن مالك كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاة ،
وكان لا يلبى قاض في أقطار الاندلس الا بمشورته واختياره ، ولا
يشير الا بأصحابه ومن كان على مذهبه ، والناس سراع الى الدنيا ،
فاقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به ، على أن يحيى لم يلب قضاة
قط ، ولا أجاب اليه ، وكان ذلك زائداً في جلالة عندهم ، وداعياً
الى قبول رأيه لديهم .

والتاريخ والمشاهدة يدلان على أن المذهب ينتشر في الناحية

حيث يختص اصحابه بمنصب القضاء ونحوه ، وينتشر في الناحية حيث
 يكون كبار علمائها او معظمهم ممن تفقهوا عليه وصاروا من أشياعه .
 ولعل انتشار مذهب مالك بالاندلس يرجع الى السببين كليهما

يتفقه أهل الاندلس على مذهب مالك بن أنس الا أن كثيراً
 منهم يأنسون في أنفسهم الكفاية للاجتهاد أو الترجيح فيأخذون
 بما يرونه الصواب وان خالف مذهب مالك واصحابه جميعاً

ومن أصبح مستقل النظر في الاحكام القاسم بن محمد بن
 سيار الذي قال فيه محمد بن عبد الحكم « لم يقدم علينا من الاندلس
 أعلم من القاسم بن محمد » وقل في شأنه ابن حزم « واذا سمينا
 القاسم بن محمد لم نباه به الا القفال ومحمد بن عقيل الفريابي »

كان القاسم بن محمد مستقل النظر وكان اذا استفتاه الناس
 أفقئ بمذهب مالك ، ولما خاطبه أحمد بن خالد في هذا وقال له :
 اراك تفقئ الناس بما لا تعتقد ، وهذا لا يحل لك . أجابه بقوله :
 « انما يسألونني عن مذهب جرى في البلد وهم يتقلدونه فافتيهم به ،
 ولو سألوني عن مذهبي لاخبرتهم به »

ومن كان لا يأخذ بمذهب مالك منذر بن سعيد البلوطي فانه
 مال الى مذهب الشافعي ثم انتقل الى الاخذ بالظاهر واطراح
 القياس ، ولغزارة علمه ورسوخ فضله قلده عبد الرحمن الناصر

القضاء بقرطبة وأخذ عليه أن لا يقضى الا بمشهور مذهب مالك ،
فكان اذا جلس للفصل بين الناس قضى على مذهب مالك عملا
بما شرط عليه الخليفة

وكذلك كان أبو محمد بن حزم فانه مال الى مذهب الشافعي
ثم انتقل الى الاخذ بالظاهر والامتناع من القياس بدعوى أن
نصوص الشريعة تتناول كل حادثة الى أن يأتي أمر الله . وصار
لابن حزم هنالك شيعة ، ومن مؤلفاته في أحكام الفقه كتاب
« المحلى بالآثار » الذي قال في وصفه عز الدين بن عبد السلام
« لم يؤلف مثله في الاسلام »

وانا لوجد الكاتبيين في تاريخ الاندلس يقولون في وصف
كثير من علمائها : « وكان يميل إلى النظر والحجة » أو يقولون
« كان يميل في فقهه الى النظر والاخذ بالحديث » أو يقولون « له
اختيارات في الفتوى والفقه خارجة عن المذهب » أو يقولون
« كانت له مذاهب أخذ بها في خاصة نفسه وخالف فيها أهل قطره »
وهذا يدلنا على أن علماء الاندلس يتفقون على مذهب
مالك ، ومنهم من يدرك مرتبة الاجتهاد أو الترجيح فيرجع الى
الحجة والدليل
هذا شأنهم في الفقه أما شأنهم في أصول الفقه فقد وصفهم أبو

عبد الله المقرئ بان مرتبتهم في هذا العلم كانت متوسطة ، وكتب ابن حزم رسالة سرد فيها مؤلفات الاندلسيين في علوم مختلفة ولم يذكر لهم في علم الاصول ، ولو كتابا واحداً ، ووصل ابن سعيد هذه الرسالة بديل أودعه مؤلفات زائدة على ما أورده ابن حزم ولم يأت لهم بمؤلف في علم الاصول سوى مختصر المستصفي لابن الوليد ابن رشد . وقد وقفنا لبعض علمائهم على أسماء مؤلفات في الاصول ككتاب الحصول في علم الاصول لابي بكر بن العربي وكتاب احكام الفصول في علم الاصول لابي الوليد الباجي وكتاب تقريب الوصول الى علم الاصول لابن جزى . وبين أيدينا اليوم كتابان من أجل ما محمود بهما الانظار في هذا العلم ، هما كتاب الاحكام لابي محمد بن حزم وكتاب المواقفات لابي اسحاق الشاطبي

﴿ علم الكلام ﴾

كان أهل الاندلس على سنة السلف ، حتى اتسع البحث في العقائد وحدثت فيها مذاهب ، فاقتدوا بأصول أبي الحسن الاشعري وكانوا يدرسون بالطبيعة ما يؤلفه علماء الشرق كأبي بكر الباقلاني وابي المعالي وأبي حامد الغزالي ، ولم تكن مؤلفات علماء الاندلس في هذا العلم بمقدار مؤلفاتهم في التفسير والحديث والفقه ، وقد اعتذر ابن حزم عن قلة تصرفهم في هذا العلم بأن

بلاد الاندلس لم تختلف فيها النحل ولم تتجاذب فيها المصوم
اطراف الجدال والمناظرة ، ثم قال : فهي على كل حال غير عربية
من هذا العلم

وجد في الاندلس طائفة كانت تذهب مذهب المعتزلة
وتنظر على اصولهم مثل خليل بن اسحاق ويحيى بن السمينة وموسى
ابن جدير وأخوه الوزير احمد ، وكان هذا داعية الى الاعتزال
لا يستمر بذلك ، الا أنهم كانوا فئسة قليلة لم يبلغ من شأنهم أن
يجمعوا فرطبة ك بغداد تعقد فيها مجالس المناظرة بين علماء الكلام
على اختلاف مذاهبهم وآرائهم

ومن علماء الاندلس الذين بحثوا في الكلام بنظر مستقل
ابو محمد بن حزم ، وهذا كتابه « الفصل في الملل والنحل » ينحو
فيه نحو المجتهد المطلق ، فقد يخالف الامام الاشعري وغيره من
أهل السنة ، ويرد تارة على المعتزلة ، وينقض مرة آراء الفلاسفة

﴿ علماء الاندلس والفلسفة ﴾

يتقبل الدين الخفيف علوم الارض وعلوم السماء على تباين
أصنافها واختلاف موضوعاتها ، فكان علماء الاندلس ممن قدروا
علوم الفلسفة وأضافوها الى ما عندهم من فقه أو حديث ، وقد كان
الامير عبد الرحمن الاوسط يجمع بين علوم الشريعة والفلسفة ،

وهو أول من درس الفلسفة من امرأه الاندلس وتظاهر بها . وكان أبو عبيدة بن أحمد - الذي يقولون : انه أول من اشتهر بعلم الاوائل - صاحب فقه وحديث ، وكان أبو الوليد بن هشام من حفاظ الحديث ، ويصفه مؤرخو الاندلس بأنه كان أعلم الناس بالهندسة وآراء الحكماء . وما كان أبو بكر بن الطفيل وابو الوليد بن رشد الا من رجال الدين ، وكان كل منهما يعمل لبيان أن الفلسفة الصادقة لا تناقض الشريعة في حال

وأما ما أصاب الفلسفة وبعض الفلاسفة من مقت أو اذى فتبعته ترجع الى استبداد بعض الامراء أو جهالة بعض السوقة أو حماقة بعض المنتمين الى الفلسفة حيث يطيشون من بعض طرقها المظلمة الى تخبط في القول وزندقة ، ويحاولون اغواء النفوس الزاكية والفناءها في ههناك وتخاذل وشقاء

الذين يستضيئون بحكمة الاسلام شأنهم أن يبحثوا ما تحتويه علوم الفلسفة ويزنوه بقانون المنطق الصحيح ، فيقرؤا ما قام الدليل على صدقه ويطرحوا ما كان زعماً باطلاً ، او افتراضاً لا يتكئ على حجة ، وفي علماء الاندلس من استضاءوا بحكمة الاسلام وخاضوا غمار الفلسفة على بصيرة فكانوا المثل القيم يشهد بأن الفلسفة التي هي بذت الحجة ، لا تنعاضى أن تجتمع مع مبادئ الاسلام في نفس واحدة

﴿اعتزاز علماء الاندلس بمقاماتهم العلمية﴾

أخرجت معاهد العلم بالاندلس رجالا كانوا يعتزون بمقاماتهم العلمية ، فلا تستخفهم الخطوة عند رئيس أعلى ، ولا تتعاضمهم الولايات وان كبر سلطانها وملأت الابهة ما بين جوانبها ، ويتجلى هذا الخلق العظيم في مظاهر كثيرة ، واليكم طائفة من أمثلتها :

من هذه المظاهر أن فريقاً منهم تقلدوا منصب القضاء في قرطبة وغيرها فاعتصموا فيه بحبل العدل ، وأقاموا المساواة على وجهها ، فلا فضل لصاحب الدولة على أدنى الناس منزلة وأقلمهم ناصر الابطقوى الله

رفع رجل من كورة جيان الى محمد بن بشير قاضي قرطبة قضية على الحكم بن هشام صاحب الاندلس ، ولما استبان القاضي صحة البينة حكم على الامير وأذنه بانه اذا لم يتقد للحكم ويُدعن لانفاذه ، تخلى عن ولاية القضاء غير حريص عليها ، فما رسع الامير الا أن يمد عنقه لقضاء محمد بن بشير مرغما

فسيرة ابن بشير في نحو هذه الواقعة دليل على خلق اعترازه بالعلم ، وأنه لم يتقبل الولاية الا ليظهر حقا أو يصرع باطلا

ورفعت الى محمد بن بشير هذا قضية كان أحد الخصمين فيها سعيد بن عبد الرحمن الداخل عم الحكم واستشهد سعيد بن عبد الرحمن

في القضية بالحكم نفسه وكان يحسب شهادة أمير البلاد ضربة لازب وأنها لا تقع في مجلس القاضي الا موقع الحجة القاطعة للنزاع ، فلما نظر ابن بشير في الشهادة قال لو كيل سعيد بن عبد الرحمن « هذه شهادة لا تعمل عندي ، فجمعتي بشاهد عدل » فهبت الوكيل دهشة وأنهى سعيد الامر إلى الحكم وأخذ يفريه بالقاضي ويحرضه على الايقاع به ، فقال له الحكم : القاضي رجل صالح لا تأخذه في الله لومة لأثم ، ولست أعارضه فيما احتاط به لنفسه ، ولا أخون المسلمين في قبض يد مثله . ولما خوطب ابن بشير في رد شهادة الحكم قال : انه لا بد في الشهادة من الاعذار ، ومن الذي يجتريه على الطعن في شهادة أمير المؤمنين لو قبلتها ، واذا لم أعذر كنت بخست المشهود عليه حقه . ولمنذر بن سعيد البلوطي في هذا الشأن وقائع يرفع بها العدل رأسه عزيزا متعاضلا . ومن هذه الوقائع أن الخليفة عبد الرحمن الناصر دعت الحاجة إلى شراء دار ووقع اختياره على دار يملكها بعض الايتام ، فأرسل اليها مقوما وأرسل من يخاطب ولى الايتام في بيعها ، فذكر له الولى أن بيع الاصول موقوف على رأي القاضي ومشورته ، فأرسل الخليفة الى القاضي منذر بن سعيد ليأذن ببيع الدار ، فاجابه منذر بان ليس للايتام حاجة الى بيع هذه الدار ، فان بذلت لهم من الثمن ما تستبين به الغبطة اذنت الولى ببيعها منك ، فسكت الناصر حيناً وخشى

منذر أن تنبعث منه نورة يهتضم بها حق الايقام فامر بتقص بنا.
 الدار وباع انقاضها فكانت قيمة الانقاض فوق ما قومت به للخليفة
 من قبل ، فاقبل الخبر بالناصر فسأل القاضي عما صنع فقال له نعم ،
 وأخذت فيما صنعت بقوله تعالى « أما السفينة فكانت لمساكين
 يعملون في البحر فاردت أن أعيبها وكان وراهم ملك يأخذ كل
 سفينة غصباً » فصبر الناصر وقال : نحن أول من ينقاد إلى الحق
 فجزاك الله تعالى عنا وعن امانتك خيرا . ان سيرة أمثال محمد بن
 بشير ومنذر بن سعيد تنبه الناس إلى أن علوم الاسلام ترفع همه
 الراسخ في فهمها ، وتطبع في نفسه عزة وتقوى يجعلان القضاء في
 حرية فوق الحرية التي تسنها هذه القوانين الوضعية

ومن مظاهر اعتزازهم بالعلم أن كثيراً منهم كانوا يزهدون
 في المناصب ولا يقيمون لها ، وإن عظم سلطانها ، وزنا . فهذا ابو
 محمد بن حزم كان وزيراً لعبد الرحمن بن هشام الاموي فرأى أن
 مقام العلم فوق كل مقام فخلع طوق الوزارة من عنقه اختياراً ، وأقبل
 على البحث والتأليف ، فقدم عملاً صالحاً وأبقى أثره في العلم نافعا
 وهذا زياد بن عبد الرحمن أحد أصحاب مالك الذين دخلوا
 بمذهبه بلاد الاندلس أراداه الامير هشام بن عبد الرحمن على قضاء
 قرطبة بالخلاف فإبى قبول هذا المنصب بتصميم ، ومما اتخذوه وسيلة
 للتخلص من الولاية أن قال للوزراء الذين خاطبوه في شأنها وأبلغوه

عزم هشام على توليته إياها . أما إن أكرهتموني على القضاء ، فاعلموا
أنه إن أتاني مدع في شيء بأيديكم ، لا يكون إلا أن أخرجه منكم
ثم أجعلكم مدعين فيه حتى تقيموا عليه البيضة . فلما سمعوا منه
هذه العزيمة تيقنوا أنه سيفعل ما يقول ، فسعوا لدى هشام في
معافاته وصرف الولاية إلى غيره .

نظر علماء الاندلس في أحوال الامة وغيرتهم على مصالحها *
نرى في علماء الاندلس من لا يقصرون أنظارهم على الوجهة
العلمية البحتة ، بل يبرون بها في كثير من الاوقات على أحوال
الجماعة ليعرفوا ما يطرأ عليها من خلل ، وما يحتاج اليه من إصلاح .
ينبشنا التاريخ أن كبار العلم في القرى المجاورة لقرطبة يأتون يوم الجمعة
للمصلاة مع الخليفة في قرطبة ويطالعونه بأحوال بلدهم . وينبشنا
التاريخ بأن في علماء الاندلس طائفة لا يفضون أبصارهم عما يصنع
ولاة الامور ، ثم لا يكتفون النصيحة إذا أبصروا عوجا في
السياسة أو حيفا في الحكومة أو تبذيرا في الانفاق

عاد أبو الوليد الباجي من الشرق فوجد ملوك الطوائف
بالاندلس أحزابا متفرقة فادرك سوء عاقبة هذا التفرق ودفعته
الغيرة أن قام يسعى بينهم بالصلح ولكنه نفخ في عظام ناخرة ،
فكان كلما وفد على ملك منهم لقيه بالتقريب والترحيب ، وهو
في الباطن يستجمل زهته ، ويستقل طلعمته . فلم يبلغ أن يعقد بين

أولئك الاحزاب وفاقا . ومواقف مندر بن سعيد البلوطي في وجه
عبد الرحمن الناصر منكر عليه الاسراف في تشييد المباني والفلو
في زخرفتها مبسوطه في كتب التاريخ دائرة على السنة الادباء

والعلماء الذين ينفقون شيئا من أوقاتهم في البحث عن أحوال
الاجتماع ومقتضيات السياسة ، يتوقفون أكثر من غيرهم الى أن
يصوغوا فتاوبهم على قدر المصالح المعتمد بها في نظر الشريعة .

لما أراد سلطان المغرب الأقصى يوسف بن تاشفين اتقاذا
الاندلس من مخالب اعدائها المتحفزين للوثوب عليها ، استفتى
أهل العلم في أخذ معونة من الامة يستعين بها على دفاع اولئك
المتحفزين ، فاحجم بعض الفقهاء من غير أهل الاندلس أن يفتيه
بجواز ذلك ، ولكن قضاة الاندلس وفقهاءها ومنهم ابو الوليد
الباجي كانوا يحسون العدو على مقربة من ديارهم ويندقون مرارة
وضعه الضرائب على امرائهم وينظرون الى عاقبة استيلائه على
أوطانهم كأنهم يرونها رأي العين ، فأفتوه بأخذ المعونة من الامة
زيادة على ما هو المفروض عليها من نحو مقادير الزكاة

وفي علماء الاندلس رجال كانوا يعملون لحماية البلاد بأنفسهم ،
ولم يودعوا هذه الحياة إلا وهم مرابطون في الثغور أو تحت ظلال
السيوف . كان محمد بن عبد الله الليثي قاضي قرطبة يخرج الى
الثغور ويباشر اصلاح ما اختل منها ، حتى وافاه الموت وهو في

بعض الحصون المجاورة لطليطلة . وكان القاضي سليمان بن موسى
الكلاعي من أولى البسالة والاقدام ، يشهد مواقع القتال بنفسه
الى أن توفي في احدى الغزوات شهيداً في سبيل الله
ولكن ما نجد في تراجم علماء الاندلس أن زياداً استشهد
في غزوة كذا ، وعمراً مات مُنصرَفة من غزوة كذا ، وبكراً توفي
مرابطاً في ثغر كذا ، الي من لا يحصيهم القلم حساباً



هذه صحيفة من تاريخ علماء الاندلس تلونها كالتذكرة لشباننا
الناهضين ، وعسى هذه المعاهد والمدارس الاسلامية أن تخرج
لنا رجالاً يهرون الناس علماء وجمالة ويذودون عن الشريعة نفراً
يتهافتون على اطفاء نورها ، والسلام على العلماء المصلحين
المجاهدين ورحمة الله



ماذا تحتفل بذكرى الهجرة النبوية؟

خطبة للاستاذ السيد محمد الخضر حسين

الفاها في نادي جمعية الشبان المسلمين ، مساء غرة المحرم سنة ١٣٤٧

في وادٍ غير ذي زرع وبلد غير ذي علم ، طلعت نفسٌ كان لها من المظلمة ما تصغر أمامه كل نفس يذكرها التاريخ بأعجاب ، تلك هي نفس محمد الذي دعا بالحجة فهدي ، وساس بالعدل فأرضى ، وجاهد بالحسام فأزكى

نشأ محمد - صلوات الله عليه - بين قوم يتخذون من الحجر آلهة ، ومن الوهم عقائد ، ومن المنكرات عادات وُسُننًا ، حياة تسجد للاحجار ، وعقول تتخبط في ضلال ، وجسوم تنقلب في خسار . نشأ محمد في هذه البيئة المفعمة جهلاً وغواية ، فإذا هو ينطق بالحكمة ويدعو الى النور الذي عمي عنه كبار الفلاسفة أحقاباً كان زعماء . قريش يمشون في الارض مرحاً ، ويزدرون المستضعفين من الناس كبراً وطغياناً ، وكان محمد - صلوات الله عليه - يمشى على الارض هوناً ، ويجلس الى الضعفاء في تواضع ووقار ، فعلم الناس أن الطبقة التي يتحامي ربيع القدر أن يجلس اليها انما هم أولئك الذين لا يعرفون أن في الملابس ثوباً فخرأ يقال له التقوى ، وأن كانوا أولي ثروة أو رياسة

كان أولئك الزعماء يتنافسون في متاع هذه الحياة ما استطاعوا ، وكان محمد - صلوات الله عليه - لا يسمو بهيمته الا حيث تُدني الفضيلة أغصانها وتمتد السعادة الباقية أسبابها ، فطمع الناس أن في اجتلاء الحكمة والنزاهة عمل الخير لذة تفوق هذه الملاذ التي يطلق فيها عبيد الشهوات اعنتهم

نظر الله الى قلب محمد وهو كالنور في مصباح والمصباح في زجاجة ، فاختره مهبطاً لوحيه ، وأقم على رسالته من الآيات البينات ما لو زادت على وضوحها شيئاً قليلاً لكان الايمان بمحمد وبما بُعث به محمد من قبيل التمسر والاجلاء . وحكمة الله اقتضت أن يكون في الناس سعيد وشقي ، ورشيد وغوي ، لهذا كانت آيات نبوة محمد - صلوات الله عليه - منبهة في جلائها الى حد تحتاج معه الى شيء من سلامة الفطرة أو النظر بروية

رأى زعماء قريش أن في دعوة الاسلام ما يقضى على زعامتهم ويفتح عيون العرب في عوج أخلاقهم وسفه أحلامهم ، فأجمعوا أمرهم على أن يمترضوا هذه الدعوة بما وجدوا من حيلة ، وبما ملكوا من قوة ، والدين الذي يرفع همم معتنقيه الى ما فوق الجوزاء ، ويأبى لهم أن يكونوا للفتجار عبيداً أو أولياء ، يكره الطغاة من الزعماء أن يسموا له ذكراً ، أو يشهدوا له مظهراً

لا أحد منكم عما لقي رسول الله ﷺ من كيد وأذى ، وإنما

اطار حكم كلمة في واقعة الهجرة وما كان لها من الاثر الذي استحققت
 به أن تكون سنتها مبدأ التاريخ في الاسلام
 قضى رسول الله ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة وهو يدعو
 الى الدين الخنيف ، ويعاني من الشدة والاذى ما لو لقيه طالب
 رياسة أو دنيا لنفد عزمه وصرفه اليأس الى وجهة اخرى
 كان - صلوات الله عليه - يبادر فرصة الموسم من كل سنة
 حيث تفند قبائل العرب على مكة من كل سبيل ، فيطوف عليها
 واحدة بعد اخرى ، ويدعوها كما أمر الله أن تدعى ، ثم يعرض
 عليها أن تتولى دفاع من يقصدونه بأذى حتى يبلغ رسالات ربه ،
 ويقول « ألا رجل يعرض عليّ قومَه ، فان قريباً قد منعوني أن
 ابلغ كلام ربّي »

فمن رجال هذه القبائل من يردون عليه أسوأ ردّ ، فيحتمل
 رسول الله هذا اللقاء الجاني صابراً ومحتسباً به أجراً عند الله ،
 ومنهم من تلين قلوبهم للقرآن ويمتدرون عن حمايتهم له بأنهم
 لا يستطيعون أن يعقدوا على قلوبهم أمراً وهم غائبون
 حضر الموسم الذي أراد الله أن يكون فاتحة اظهار الدين
 وانجاز ما وعد الرسول والذين آمنوا ، فقام عليه الصلاة والسلام
 يدعو القبائل ويعرض عليها حاجته الى انصار شأنه في كل موسم ،
 حتى كان عند العتبة فلتني ستة نفر من الخزرج فدعاهم الى صراط

الله السويّ فانشرحت صدورهم وعادوا الى يثرب وهم مسلمون .
وقدم منهم في العام القابل اثنا عشر رجلا : خمسة ممن أسلموا
فيمن سلف وسبعة من غيرهم ، فبايعوه عند العقبة على أن لا
يُشركوا بالله شيئا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتون
ببهتان ، ولا يعصوه في معروف ، بايعوه على هدانا ثم عادوا الى
وطنهم وقلوبهم تفيض بالايمان مما عرفوا من الحق وقاموا بيث
الدعوة حتى فشا الاسلام في المدينة ، وقدم منهم في العام القابل
ثلاث وسبعون رجلا وامراتان وبايعوا رسول الله عند العقبة على
أن يكونوا انصاره الى الله . وعقدت هذه البيعة سرا ، لا يعرفها
غير المسلمين من الخزرج وقريش

بعد أن اعتنق الاسلام رجال من يثرب وعاهدوا رسول الله
على أن يجاربوا دونه الاسود والاحمر أمر عليه السلام أصحابه بالهجرة
الى المدينة فانطلقوا اليها أرسالا

أحست قريش أن أمر رسول الله قد أخذ شأنا غير الشأن
الذي عهدوا ، وأوجسوا خيفة من أن يلتحق الرسول عليه الصلاة
والسلام بأصحابه المهاجرين والانصار ، فيكون في منعة ومنجاة
من سيطرتهم ، ويتسع له المجال لأن يعمل على إعداد قوة تذهب
بزعامتهم وتخلي دار الندوة من مؤتمراتهم ، فما كان منهم سوى أن

اجتمعوا في دار الندوة يأتمرون بالرسول ويديتون ماذا يصنعون ،
وهي المؤامرة المشار اليها بقوله تعالى « واذ يكر بك الذين كفروا
ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك . ويمكرون ويمكر الله ، والله خير
المماكرين »

عقدوا الرأي على أن يفروا سيوفهم بحياته ، ولكن الله سلم
فمعه من شرهم ويسر له سبيل البعد من ديارهم . فخرج وأبو بكر
الصديق يرافقه في سبيله حتى نزل من المدينة منزلا مباركا ، وانتظم
به شمل أصحابه المهاجرين والانصار

كان لهذه الهجرة المباركة الاثر الخطير الخالد ، وكانت لها اليد
التي خلعت على العرب وغير العرب هداية وحرية وعلم ، وهذا
ما نظر اليه أصحاب رسول الله حين استشارهم الخليفة عمر بن
الخطاب سنة ست عشرة بعد الهجرة في أمر التاريخ ، وقالوا : ان
علم الهجرة هو الوقت الذي عز فيه الاسلام وأسس فيه رسول
الله المساجد وعبد الله فيه آمنا . ومن أهل العلم من يقتبس هذا
الذي أجمع عليه الصحابة من القرآن نفسه ، فان الله تعالى يقول
في مسجد قبا الذي أسسه النبي ﷺ لاول الهجرة « لمَسْجِدٍ
أَسَّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ يُقَامَ فِيهِ » فقوله
« من أول يوم » باطلاق يوم عن الاضافة ملائم لان يكون وقت
الهجرة مبدأ التاريخ العام في الاسلام

من أثر الهجرة النبوية ذلك التوادد والآنحساد الذي ربط
 قلوب طائفة من عدنان وهم المهاجرون ، بطائفة من قحطان وهم
 الانصار . وهو توادد وآنحاد دأبنا على أن صلة الدين الحنيف أحكم
 وأزكى من كل صلة تربط بين الاشخاص أو الطوائف أو الشعوب
 فمن ظفر بأمة من الناس انتظمت بينها هذه الصلة في صفاء . وتأكد
 فليقارع بها ما شاء . فانه لا يرى الامتانة وإقداماً وثباتاً . فلهجرة
 النبوية كانت الوسيلة الى تأليف حزب مصلح لم ينشب أن قهر
 الذين طغوا في البلاد ؛ ومد سلطانه العادل في الشرق والغرب الى
 مكان بعيد

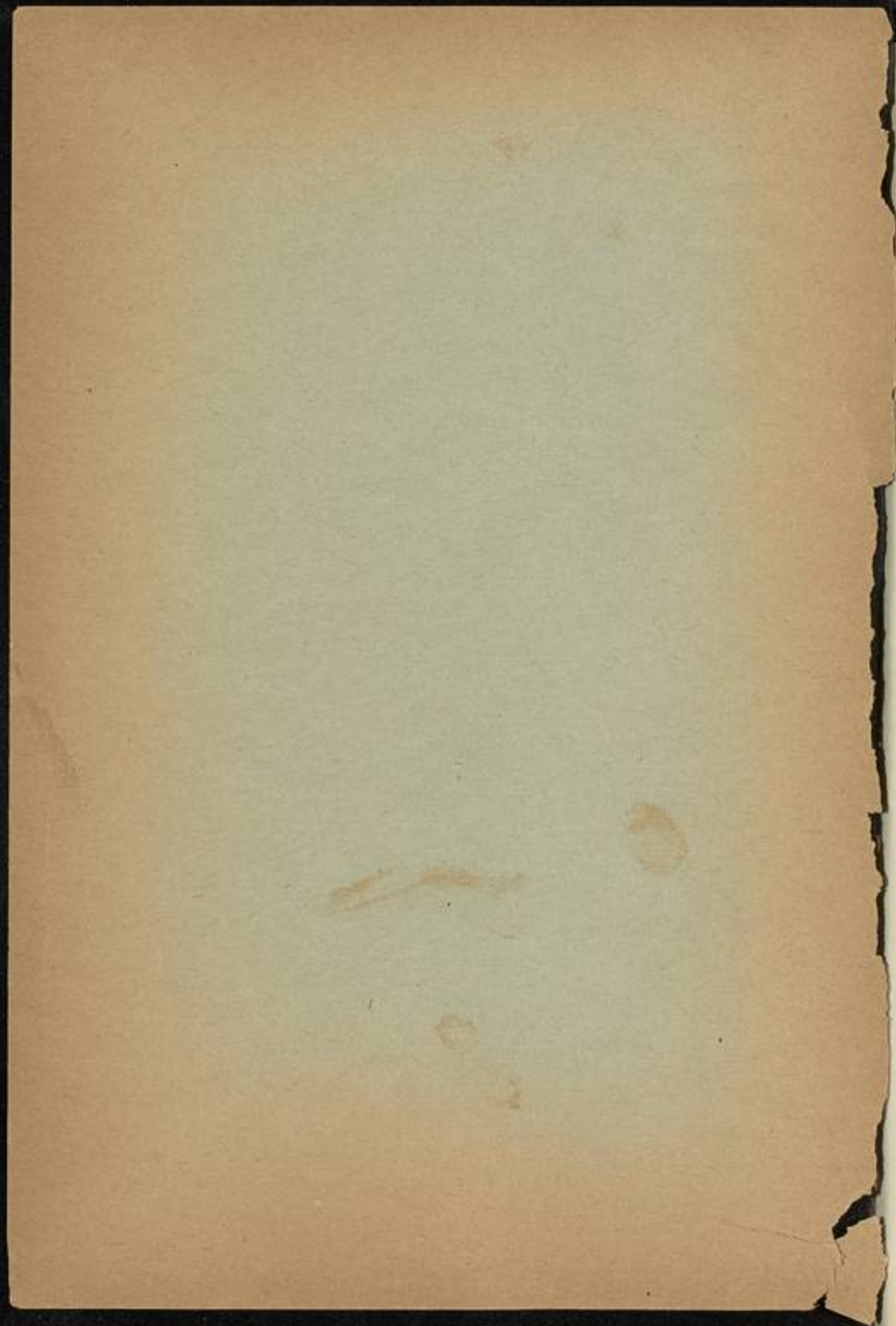
كان الناس بمسكة ما بين مؤمن صريح ، ومشرك سربرته
 كعلائته . اما بعد الهجرة حيث أصبح للاسلام شوكة وعزة فقد
 ظهر الصنف الدين يسمون «المنافقين» وكان النبي ﷺ يأخذهم
 بالظاهر ، ويدع سرائرهم وحسابهم الى علام الغيوب . وفي قبول
 رسول الله لهذا الصنف منحازاً الى صفوف المسلمين مصلح لا
 يستهان بها ؛ فكم من فتیان جاهدوا في سبيل الله باليمن واليسار ،
 وما خرجوا الا من أصلاب أولئك المرأين الذين يقومون الى
 الصلاة وهم كسالى

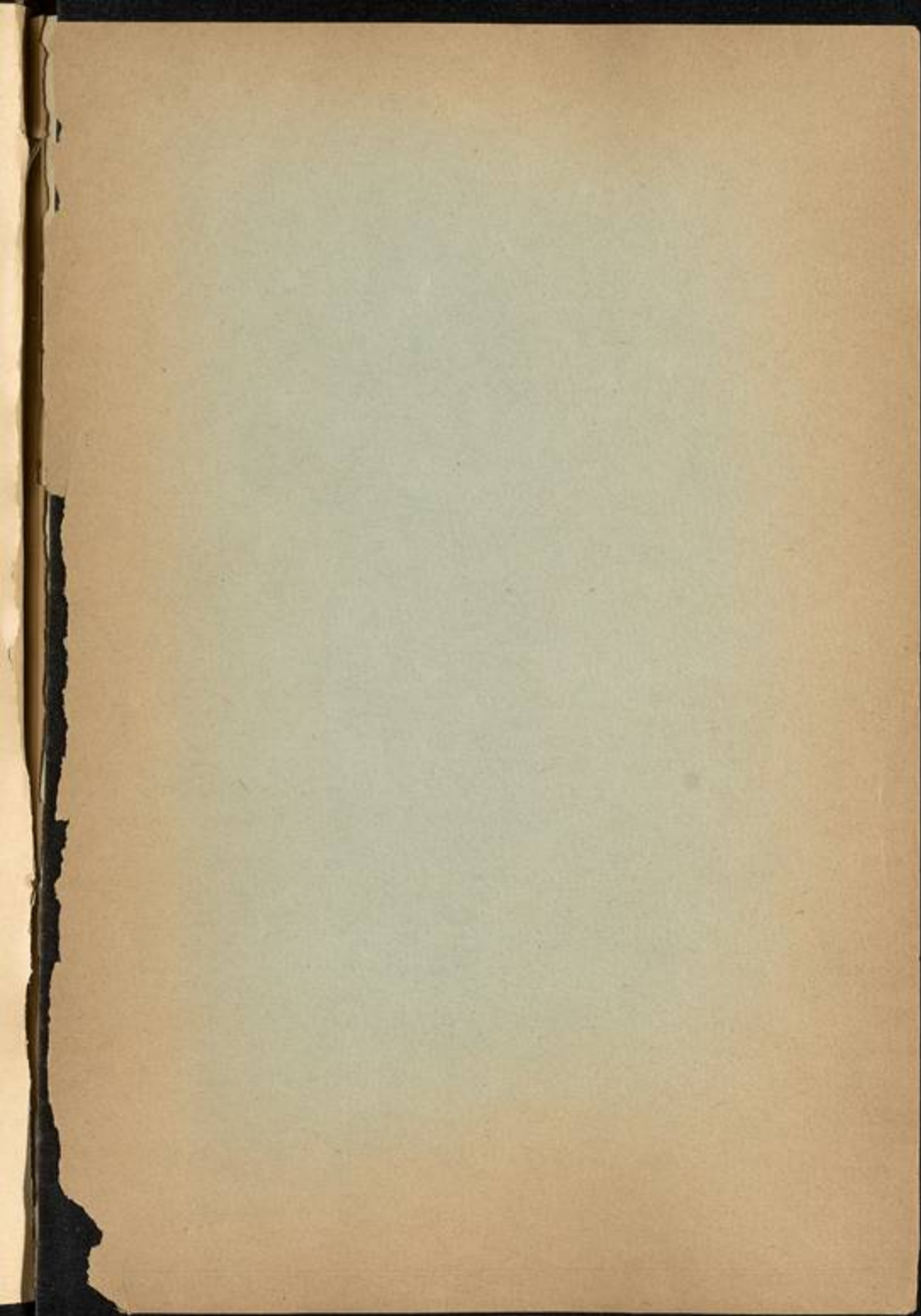
فلهجرة النبوية أقامت للاسلام سطوة ، وجعلت كثيراً من

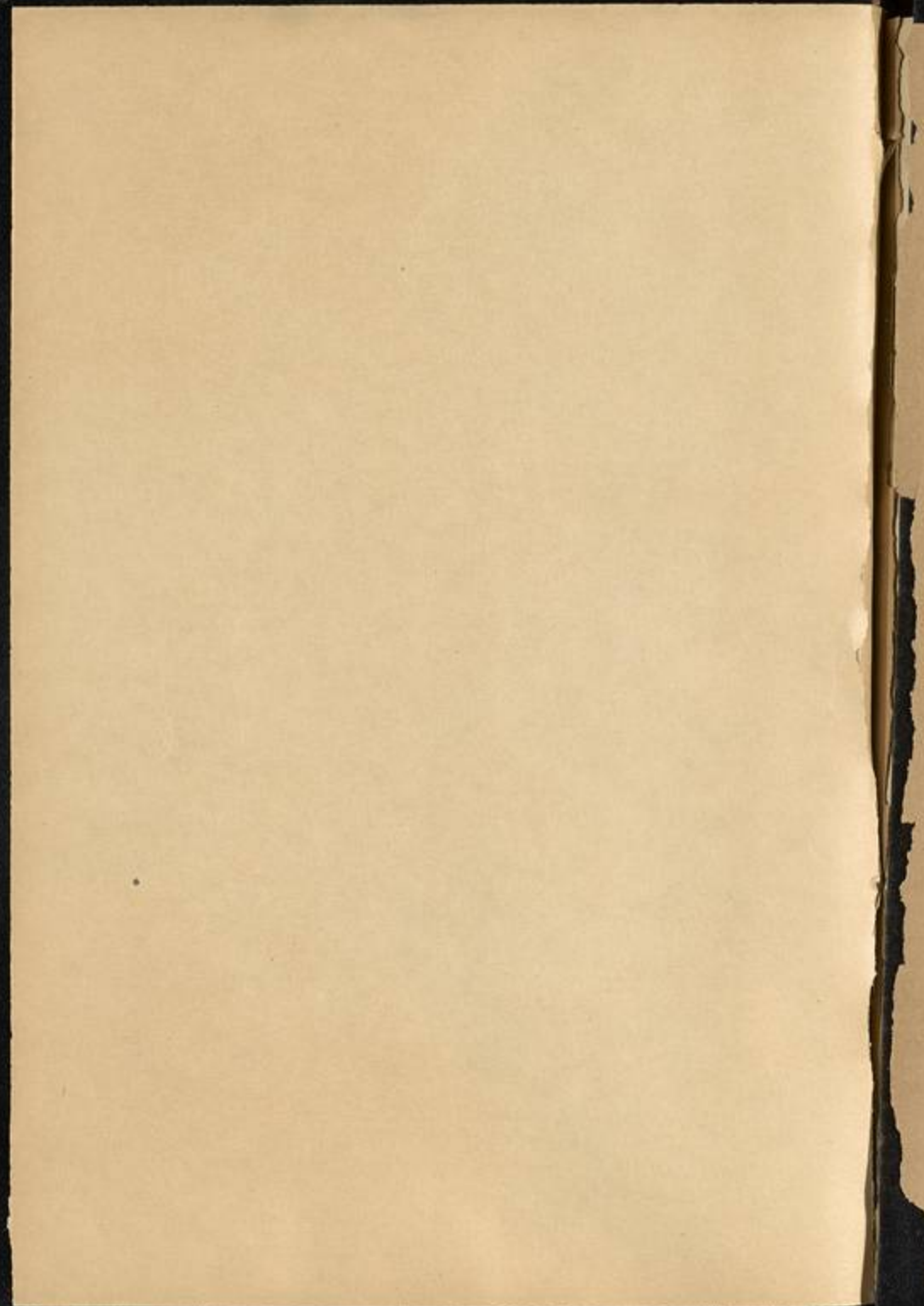
المخالفين بلبسوا آدابها في الظاهر وهم كارهون ، ومن هؤلاء من
يترددون على مجالس رسول الله وتكثر مشاهدتهم لدلائل نبوته
فينقلبون الى هداية ، ومنهم من يشبُّ ابناؤهم وقد افوا الاسلام
وعرفوا حقائقه ، فلا يبلغون الحلم الا وهم من اخلص دُعائه وأقوى
حماته

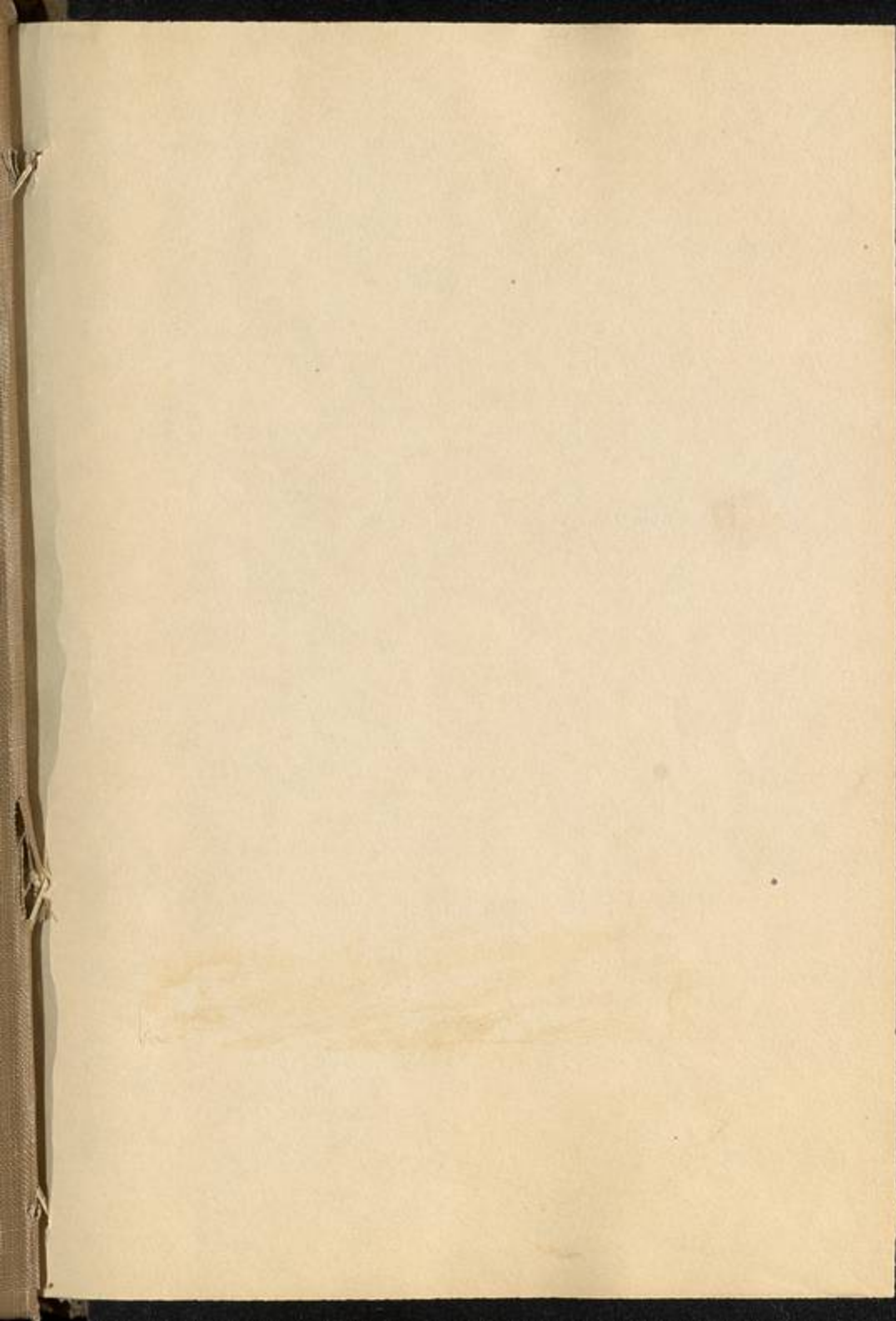
قرر الاسلام مبدأ الحرية الصحيحة بمثل قوله تعالى « لا
تظلمون ولا تُظلمون » وفرض على امته أن يقيموا دولة عزيزة
الجانب نافذة الارادة ، فقال تعالى « وان يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا » والهجرة النبوية كانت الخطوة الاولى التي
تقدم بها المسلمون الى التمتع بالحرية في كل حق ؛ وكانت الحجر
الاول في أساس دولتهم المستقلة كما يريد الله ، فاذا احتفلنا بأول يوم
من سنة الهجرة النبوية فانما نحتفل بذكرى حادثة هي رمز ظهور
الاسلام ورمز حريته الصحيحة واستقلاله المطلق من كل قيد











Columbia University
in the City of New York

LIBRARY



COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU59010622

893.716 H95

Ulama al-Islam fi al

893.716 — H95